Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بخاصة: الرواية؛ أو كواحدة من محاولات الخروج مما آلت إليه التجربة الشعرية العربية في حداثتها وفي أزمة هذه الحداثة.

ولعل السردية فرضت نفسها في أوراق محمد عمران الأخيرة بسبب حمولتها السيرية. فمشروع القصيدة، مشروع السيرة الذاتية، ينبني على عودة الشاعر– الراوي إلى قريته بعد طول تطواف، فيعانق الفضاء، ويخلد إلى طفولته، فيسأل (ماذا تغير في غيبتي؟) ويسأل (من يكون الغريب هنا؟) ويلقي السلام على أمه، وغرفته، وينادي حوارات ذلك الذي (على فمه لغة لم تفق) مع أبيه، فتوقع حكمة الأب للقصيدة والطفل والغريب (نحن لم نعط وقت القلوب) (نحن لم نعط كنه الدروب).

وتتجلى السردية كحامل للسيرة الشعرية في هذا الحوار، وفيما سبقه وأعقبه من الراوي بضمير الغائب أو بضمير المتكلم، وفي إسناد هذين الضميرين للذات وللآخر، وصولاً إلى ذكرى مريم. ولئن كانت شيات من ماضي التجربة الشعرية للشاعر ولشعرنا الحديث تدلل على نفسها هنا، فقد مضت السردية باللغة إلى تجربة أخرى، وبتنا نقرأ هذه الذكرى للراوي وأبيه:

*"جلسنا*
*أحدثه ويحدثني*
*وأتى الأقرباء إلينا:*
*أبو يوسف، وعلي، وعمي حسين*
*ومدت أحاديث عن سفر البر والجوع*
*والحرب ضد فرنسا*
*وأسلحة العرب الفاسدة..."*

ولعلها واحدة من المواطن النزرة في شعر الشاعر، حيث تأتي الكلمة النثرية إلى الشعر بنسبيتها، واجتماعيتها، وتاريخيتها، إزاء الكلمة الشعرية الأثيرة القادمة من اللغة المقدسة المطلقة والمتعالية. وبهذا الحضور الرمزي للسردية تشكلت الصورة من طينة أخرى، من كلام وأصوات، وأشارت إلى كسر النظام الأحادي النبروي، وأشرعت سبيلاً أمام نبرة غربية.

لكن علينا ألا نبالغ، ليس فقط لأننا أمام مشروع لم يكتمل، بل لأن الماضي يرسل بغواياته، ومنها توسّل حرف اللام كمفتاح للقول الشعري: